

طريقة منتسوري

في التربية والتعليم

(١)

يعد الباحثون القرن التاسع عشر من ازهي المصوروارقاها فقد كثرت فيه المخترعات وارتقت العلوم وشمل النهوض كثيرا من فروع الحياة العلمية والعملية والاجتماعية والعقلية. ولم يكن حذر التربية بأقل من غيرها فقد اتسع امامها المجال وكان للعلوم والمخترعات أثر عظيم أعان الرين في البحث عن اقوم الاساليب وخير النظم واحسن المناهج. واتجهت العناية لاعداد المعلمين القادرين ودنى الربون بكل أنواع التعليم مسترشدين بعلم النفس وعلم الاجتماع ولم وظائف الاضاء وغيرها بخادات مباحثهم مرتكزة على اساس علمي صحيح

وهم لا يزالون يبحثون عن احكم الوسائل للنهوض بالافراد والمجتمعات وقد ظهرت آثار ذلك فيما نراه من الاهتمام بالتربية الصناعية والاقتصادية والزراعية في كثير من الممالك ومن العناية بتربية ذوي العاهات

وللعلماء «سيجون» الفرنسي (١٨٠٢ - ١٨٨٠) في تربية ذوي الامراض العقلية فضل عظيم. وقد بدأ سنة ١٨٣٧ في استعمال طريقته المبنية على تربية الحواس وتمارين اليد ثم اضطر لمغادرة باريس والهجرة الى امريكا حيث اثمرت طريقته وانتشرت في ممالك كثيرة

وكان لمؤلفات «سيجون» اثر عظيم في طريقة منتسوري

ولدت منتبوري سنة ١٨٧٠ م عقب ذلك العصر الذي كانت ايطاليا فيه تجاهد في حريتها ووحدها القومية وكانت النهضة النسوية اذ ذلك سائلة بلاذهان فكان لمنتبوري في ذلك شأن يذكر

وقد التحقت بجامعة رومه وكانت اول سيدة في ايطاليا احرزت الدرجة في الطب . ثم بدأت تراول هذه الصناعة . وبعد ذلك عينت طبيبة مساعدة في قسم الامراض العقلية في الجامعة . وقد اظهرت اهتماما بذوي الامراض العقلية من الاطفال حينما كانت تزورهم في المستشفى فانبجحت أفكارها بذلك الى دراسة الطارق التي وضعها « سيجون » لتربية ذوى الامراض العقلية ومعالجتهم وقد اقتنعت بان وسائل التربية ذات اثر عظيم في انتشار هؤلاء المرضي ورأت أنهم اشد احتياجا الى العلاج بالاليب التربية منهم الى العلاج الطبي . وقد جاهرت بذلك في مجمع للتربية عقد في مدينة تورينو سنة ١٨٩١ وكانت النتيجة ان استدعاها وزير المعارف وعهد اليها في القاء سلسلة محاضرات على المدرسين في رومة تشرح رأيها وتوضح ملاحظاتها بصدد تربية ذوى الامراض العقلية

وقد استمرت على ذلك سنتين (١٨٩١ - ١٩٠٠) واشتركت فعلا في تعليم الاطفال وكانت تعمل بجد ومثابرة كل يوم من الثامنة صباحا الى السابعة مساء . ولم تقنع بتجاربها الخاصة بل ذهبت الى لندن وباريس لتدرس احسن الطارق لمعالجة الامراض العقلية

وفي خلال كل هذا كانت تزداد يقينا بان القواعد والاساليب التي تستخدم في تعليم ذوي الامراض العقلية يمكن استخدامها في تعليم الاصحاء

من الاطفال . ورأت أن النظام التي كانت متبعة في المدارس المتتادة يجب ان تغير وتبنى على اساس جديد .

ومما زادها اهتماما بتحقيق آرائها ما رأت من النتائج التي وصل اليها ذوو الامراض العقلية من الاطفال وما شاهدت من تقدمهم وبلوغهم مستوى مكنهم من دخول الامتحانات مع الاصحاء ونجاحهم مثلهم مما أدهش من اطاعوا على ذلك

ولقد كانت منتسوري تعجب من تخلف الاطفال الاصحاء وتأخرهم في التعليم وقصور مداركهم حتى وصل المرضى الى مستواهم وسابقهم في ميدان واحد . والتفسير الذي اهدت اليه هو أن المرضى من الاطفال ربوا تربية صقلت دقولهم ونمت حواسهم على حين أن الاصحاء خمدت نفوسهم وفترت مواهبهم بسبب طرق التعليم التي كانت سائدة في مدارسهم . ولهذا تركت منتسوري التعليم في مدارس الامراض العقلية ووجهت فكرها الى التعليم في مدارس الاصحاء والى دراسة المباحث المرتبطة بذلك فانظمت ثانيا في الجامعة في عداد الطالبات لدراسة الفلسفة وفنون التربية والتجارب النفسية واهتمت كذلك بدراسة ما كتبه العلامة « سيجون » وفي سنة ١٩٠٧ : سنجت لها الفرصة لتحقيق نظرياتها واراها الى ميدان العمل . فقد فكر مديرة جمعية تحسين المساكن في رومه في ان ينشئ منازل للاطفال تكون مدارس يتعلمون فيها وقد طلب الى منتسوري ان تعاونه في تنفيذ المشروع فوافقت على ذلك . وأنشئ أول معهد في يناير سنة ١٩٠٧ وصادف من النجاح ما جعل العدد يزداد

وقد استخدمت منتسوري الطريقة التي كانت متبعة في مدارس

الامراض العقلية واخذت تهذبها وتدخل علمها من التغيير ما هدتها اليه
التجارب حتى وصلت بها الى غاية محمودة . ثم اثبتت طريقتهما في مؤلفات
كتبتها وقد قالت ان هذا العمل ان هو الا با كورة واساس لبناء يمكن
ان يتم ويقوى بالبحث والتجارب

وما كادت طريقتهما تظاور حتى انتشرت وذاعت في جميع الممالك واخذ
المربون والباحثون يحصونها ويحققون اصولها . ولم تنل طريقة من طرق
التعليم مثل ما نالت هذه الطريقة من عناية وبحث واستقصاء
(اصول طريقة منتسوري)

تستخدم منتسوري طريقتهما في تربية الأطفال من سن الثالثة الى
السابعة تقريباً

وترمي بطريقتهما الى تكوين الأطفال وتزويدهم تنمية صالحة كاملة
تمكنهم من الاعتماد على أنفسهم والى تربية حواسهم وعضلاتهم وتعليمهم
الكتابة والقراءة والحساب بأسلوب يشحذ عقولهم ويثقف أفكارهم
ومن الاصول ذات الشأن في هذه الطريقة التربية الاستقلالية ومنح
الطفل الحرية التامة في أعماله وأفكاره فذلك هو دعامة نموه الصحيح
فالنمو الناجم الثابت الأساس هو النابع من الباطن والحرية هي الطريق
الطبيعي لذلك اما تدخل المدرس بارغام الطفل على عمل خاص فانه يسد
السييل أمامه ويقطع عليه الطريق . ولهذا لا ترى في مدرسة منتسوري تلك
النظم التي عودنا أن نراها . فلا ترى تلك المقاعد الثقيلة الثابتة بل ترى
كراسي خفيفة الحمل سهلة النقل يضعها الطفل كما يريد وينقل بها حيث
يشاء وترى باب الحجرة مفتوحاً يخرج الطفل ويعود على حسب ارادته

وميله وله ان يتخير ما يجب من الاعمال فاذا مل عملاً تركه الى آخر يؤديه منفرداً ولا يشترك مع غيره من الاطفال الا في بعض الاعمال التي تتطلب اشتراك جميع الاطفال . ومهمة المعلم (أو المعلمة) في ذلك انما هي المراقبة والملاحظة وامداد كل طفل بما يناسبه من غير اكراه على عمل مخصوص بل تقدم له الوسائل ثم يترك كي يربى نفسه وينمي قواه . فاذا أخطأ ترك حتى يدرك خطأه بنفسه ويعمل عنه واذا أخفق لا يرغم على المحاولة مرة أخرى فاختناقه دليل على انه لم يصل بعد الى القدرة على اتمام هذا العمل . ولذا يوجه المعلم عنايته الى تقديم وسائل أخرى يستطيع بها الطفل ان يكسب المهارة التي تمكنه من اتمام ما أخفق في ادائه

وليس معنى ما تقدم ان ليست هناك وسائل منظمه أو خطط مرسومه تستخدم لتنمية الطفل وتنشئته . فان الغرض أن تكون الوسائل الباعثة على النمو والتقدم نابعة من الباطن لامتلاءه من الخارج الفناء قد يتنافر مع ميول الطفل فلا يصادف قبولاً ولا يوصل الى ما ينفي وان الادوات التي اختبرت لهذه الطريقة ككفيلة بحرية الطفل واستقلاله واصلاح خطئه بنفسه واهتدائه الى الصواب بتجاربه . وهل هناك أنجع من التجارب في التربية الناجمة والتهديب الصحيح ؟ ورب قائل يقول : وأين وسائل النظام في هذه الطريقة ؟ وكيف تترك الأطفال يمجرون ويكثر من الحركة ؟ ولاكن منتسوري لا تنظر الى النظام بهذا النظر ولا ترى ان السكون والهدوء هما كل الخير وان الحركة والانتقال هما كل الشر فالخير في طريقتهما أن يعمل الطفل وفق حريته واختياره وان ينظم أعماله تنظيمًا تدفعه اليه نفسه وان يهدأ هدوءاً

تسوقه اليه ميوله وطبائه . ولذا يجدر بنا أن نعتهد على شغف الطفل بعمله
وسروره به وان نتخذ ذلك وسيلة لحصر انتباهه وغرس هذه العادة في
نفسه طوعا لا كرها وخير دعامة ترتكز عليها العادة هي الميول الطبيعية
كما هو معلوم

على ان منتسوري لم تضرب صفحا عن أخذ التلاميذ بالهدوء
والسكون اذا اقتضى الحال فقد جعلت في الالهاب التي يقوم بها الاطفال
ما يعودهم الصمت والانتباه بهدوء وسكينة من غير اكراه . ومن ذلك
ما تسميه «ألعاب الصمت والسكون» وذلك بأن يطالب المعلم أحد الاطفال
أن يحاكيه في الانتقال من مكان الى آخر أو في مد الزرارين على كرسي
أو نحوه من غير احداث صوت فيحاول الطفل ذلك وباقي الاطفال يرقبون
وهم صامتون .

ومن ذلك أيضا أن نغلق نوافذ الحجرة ويغمض الاطفال أعينهم
ويسندوا رؤوسهم فوق أيديهم ثم ينتحى المعلم ناحية أو يذهب الى حجرة
أخرى ويدعو الاطفال واحداً بعد الآخر بصوت خافت يتطاب اصغاء
وانتباها

ولقد لجأت منتسوري في تعويد الاطفال الاستقلال والحرية أن تكل
اليهم القيام بكثير من شؤونهم الضرورية في الحياة اليومية كلبس الملابس
وخلعها وغسل الايدي والوجه ونحو ذلك . وكذا تعهد أدوات المدرسة
والعناية بها . واذا لم يستطع الطفل أن يقوم بذلك بنفسه ساعده من هو
أكبر منه من الاطفال ولكن مع تفهيمه أنه خير له أن يؤدي هذه
الاعمال بنفسه .

ثم يتدرج الطفل في التمرين فينتقل الى فتلح الازرض وتنسيق الحداثق
والعناية بالازهار ونحو ذلك . من الاعمال المختلفة . ومن كل هذا نرى أن
الطفل قد انساق الى العمل بطبعه وغرست فيه عادة الطاعة بلا عناء وقام
بكثير من الاعمال التي يمتنع في المادة عن أدائها لانصيانا بل جملا بطريقة
العمل وعجزا عن التنفيذ .

(نمو المجموع العصبي)

إن نمو المجموع العصبي شديد الارتباط بحركات العضلات ولباقة اليد
وان الاضطراب في الاغصان اليدوية وحركات العضلات يصحبه
ضعف في العقل وقصور . وليس منشأ ذلك في كثير من الاحوال لاعطامات في
العضلات بل ضعفا في الاعصاب وفي المخ . والعلاج هو ان نعنى بتمرين
اليدين وتنظيم حركة العضلات وبذلك نصل الى تنزييم الاعصاب وتقوية المخ
ومن الدلائل علي هذه الصلة ان مركز الكلام في المخ مرتبط
ارتباطا تاما باليد التي يستخدمها الانسان فالاعسر يكون مركز الكلام
عنده في القسم الايمن من المخ ولهذا القسم صلة تامة أيضا بحركات اليد ومن
يستخدم يده اليمني على العكس من ذلك . وتبعاً لهذه الصلة بين اليد ومركز
الكلام نرى ايضا ان هناك صلة بين اليد وقوة التفكير والتعليل والحكم
فالرابطة بين اللغة والفكر ثابتة . معروفة في علم النفس

وقد اجريت تجارب كثيرة تثبت الصلة بين حركة العضلات واليد
ودرجة التفكير والنشاط العقلي . وكانت النتيجة ان الاطفال ذوي اللباقة
العضلية احد ذهننا واقوى فكرا من البطيين . فقد امتحن مائة تلميذ من
الاذكياء ومثلهم من الاغبياء في المقدرة اليدوية فوجد ان النسبة في

الأذكىاء هي ٦٢٪ ذوو لياقة ومهارة يدوية و ٣٠٪ متوسطون و ٨٪ بطيئون . أما الاغبياء فلم يوجد بينهم من ذوي اللياقة احد و ٢٥٪ متوسطون و ٣٥٪ بطيئون و ٤٠٪ بطيئون بطئا عظيما يلفت النظر . وان الارتباط بين مركز الكلام ومركز حركات اليد شديد في الصغر حتى ان ماثير احد المركزين يشير الآخر . وهذا هو السبب فيما نشاهد حين الكتابة من حركات اللسان والشفيتين

ولهذا كان من اللازم أن يكون عماد التعاميم في المراحل الأولى من الحياة قبل سن السابعة اتخاذ تربية العضلات واليد وسيلة لتربية العقل . وهذا من الاصول التي تركز عليها طريقة منتسوري (الحواس)

هي أبواب العقل وبها يدرك المرء ما يحيط به ويفهم حقائق الحياة . وليس من الصواب تركها تنمو بطبيعتها من غير تعهد أو عناية فانا لانضمن أن تتوافر للطفل جميع الوسائل التي تساعد على نموها . واذا أهملنا في تربيتها نمت ناقصة دون أن نشعر بهذا النقص وسدت بذلك أبواب الحياة أمام الانسان ونجم ضرر قد يصعب تلافيه . وان تعهد الحواس يهديننا الى ما عسي أن يكون بها من نقص فنهتم بعلاجه

والارتباط بين الحواس والعضلات وحركاتها شديد فتصويب الحاسة يتضمن عملا عضليا وحركات العضلات تتطلب عمل الحواس . وان الترتيب يفرض بأن تصوب الحاسة أولا ثم يتبع ذلك حركة العضلات . فمن يحاول أن يثب فوق حفرة يقدر المسافة أولا ثم يهيم بالوثب ومن هذا نرى أن تربية الحواس والعضلات وحركات اليد ان هي

التربية للجموع العصبي وتنمية للعقل وتقوية للفكر . ويجدر بنا أن نغني بذلك في الصغر لتنجني ثماره يانعة ناضجة في الكبر

(تربية العضلات)

الطفل ميل بطبعه الى الحركة وهي الطريق الطبيعي لنموه واعداده للحياة وتمرينه على أعمالها في المستقبل . والاهتمام بتربية العضلات هو الذي يفتح الطريق أمامها ويهدها سواء السبيل فتسير على هدي . على حين أنها اذا أهملت أخطأت الجاده وضلت فانبري الطفل لاستخدامها بغير نظام فيدمر ويحزب ويقلق راحتنا ويخرج صدورنا ولا يسعنا الا أن نصب عليه جام الغضب والايلام ولا ذنب له سوني أنه يحاول أن ينمو ويمرن قواه وعضلاته وعواسه لتكون له عدة وعمادا

ولست الوسيلة في معالجة ذلك أن نستخدم وسائل القمع والزجر وكبح جهاج هذه النزعات ومحاوله اخادها . بل الواجب أن نشجعها ونطاق لها العنان ونقودها الى خير السبل ونرسم لها طريق السير حتي تنمو صالحة نافعة . وقد عنيت منتسوري في طريقته بتمرين العضلات بوسائل متعددة منها :

(١) الحركات اليومية المعتادة كالمشي والجلوس والنهوض وحمل الأشياء نحو ذلك

(٢) العناية بالجسم ووقايته

(٣) القيام بالأعمال المنزلية

(٤) تنسيق الحدائق وفلاحة البساتين

(٥) الاعمال اليدوية المختلفة

(٦) الألعاب البدنية

(٧) الحركات الجسمية المنتظمة

والادوات المستعملة لذلك هي قطع من النسيج أو الجلود كل منها في اطار وبها أزرار وعرى وثقوب لضم طرفيها باربعة تمر خلالها فيمرن الطفل على حلها وربطها.

وللتمرين على الأعمال اليومية المنزلية يرشد الطفل الى الكيفية من غير كلام أو بكلام قليل وان الأطفال ليظهرون سرعة مدهشة في تعلم هذه الاعمال وتنفيذها بدقة تامة . أما تنسيق الحداثى والأعمال اليدوية فى الصلصال ونحوه فهى من الاعمال ذات الشأن فى تربية العضلات

ومن الألعاب البدنية التى تعود الاطفال النظام فى المشى ان ترسم على الارض خطوط مستقيمة ومنحنية ويكلف الطفل المشى عليها بلا انحراف . وبعد هذه التمرينات تستخدم الموسيقى السهلة ليعتاد الاطفال النظام فى الحركات وليفهموا النغمات الموسيقية فينمو وجدانهم وتهذب نفوسهم ويدق احساسهم .

عبر الحمير صسن (بتيم) مدرس بدار المعلم

